

رحيلُ شاعر..

وغيابُ أمير..

عبد الجليل وهبي عطاء خارج السرب^(١)

الصحافي الأستاذ نبيل أصفهاني

موت البشر حق . . ورحيل المبدعين العمالقة لا يعوّض . .

ففي مواسم الخير، هبت تلك النسائم، حاملة حروف حب وكلمات عشق، لا افتعال فيها أو رياء، وإنما صدق مشاعر وأصالة أحاسيس .

وكانت أغنيات هؤلاء الكبار تدغدغ ليل المحبين، وترضي أذواق السامعين، وتنعش شقاء العاملين، وترسم في كل فجر قوس قزح، تتسلقه مع أحلامنا وآمالنا، لعل القدر ينسينا جفاء ما سبقه، فتلوح ابتسامة من خلف نافذة، تتسلل منها ابداعات: توفيق الباشا وحليم الرومي وتوفيق بركات وفيلمون وهبي وزكي ناصيف وعفيف رضوان ومارون كرم . . وعند قمة هؤلاء كان يقف عبد الجليل وهبي، عاشقاً كما العاصفة، تهدر عباراته بينوع القلب، وهو يغدق بلا توقف أو بخل، تنساب على بركة قوارب ورقية يرسلها العشاق إلى البحر، لعله يجود بأمواج تقرب القلوب وتغسل الأدران .

(١) جريدة «اللواء»، بتاريخ ١٩/٤/٢٠٠٥م، ص ١٩.

وكان عبد الجليل محترف حب وعشق وهيام، لا يضاهيه أحد في هذه اللحمة العاطفية، التي يصوغها من واقع، يرفض جفافه، ويؤمن بالإنسان فيه فعل محبة وخير وعطاء، ترتقي الأغنية إلى سمو مكانته، فلا يقدر على الهبوط بعد ذلك إلى درك التلون.

وبمزاجية تعامل عبد الجليل مع الكلمة المغناة، التي غسلها بشفافية الروح، وصدق التوجه، وقدمها وجبة دسمة للمستمع، عبر الإذاعة اللبنانية، التي شغل فيها مركز رئيس قسم اختيار النصوص الغنائية، منذ العام ١٩٥٥ وإلى العام ١٩٧٥ م.

وكما كان عبد الجليل وهبي قاسياً في شروطه الغنائية، حفاظاً على مستوى الأغنية في لبنان، فقد كانت المرونة صفته، وهو يتعاون مع الأصوات القادرة: صباح ووديع الصافي ووداد ونجاح سلام وسعاد محمد ومحمد غازي ومحمد جمال ونصري شمس الدين وزكية حمدان وفؤاد زيدان لتشدو بالعديد من اغنياته: بترحلك مشوار، يا صخرة المينا، دخل عيونك، يا حلاق عملي من غرّة، ثلاثين يا حبيبي . .

ولم ترحم الحرب في لبنان الشاعر الغنائي عبد الجليل وهبي، لأنه وجد نفسه محاصراً بالنار والبارود والحرائق والدمار والدم وخطوط التماس، فرفض تلك الأزوجة الدموية، التي لا تعنيه، ليرحل إلى أبو ظبي، حاملاً معه غربته وآلمه ووحدته، ويقدم هناك سنوات حُرْم منه لبنان خلالها، فيما كانت الإذاعة اللبنانية تتهاوى، ومعها حلمه القديم في استمرارها كمدرسة إعلامية وفنية، تخرّجت منها أجيال.

ولا يعرف معنى الغربة إلا مَنْ تذوقها، وتابع تأثيرها على جسده، لأن الوهن تسرب إلى عبد الجليل، بعد عودته إلى وطنه، لينقل إلى المستشفى

وفارق الحياة، عن عمر ملاءه بأحلى الكلمات، ورصّعه بحلو المعاني .

ويخرج عبد الجليل من السرب، مبدعاً حلق مع سربه، ليغطي القلوب بطبقة، رومانسية لا تزول، لأن نتاجاته لا تزال عالقة في قلوب أبناء جيله، أما الأجيال اللاحقة، فإنها بحاجة إلى أمثال أولئك المبدعين، حتى يعيدوا إلى الأغنية كرامتها وشرفها ومستواها، بعيداً عن المهازل السائدة، التي تغذيها الفضائيات بالاحتضان والرعاية والتشجيع، بعد أن برز الفارق الشاسع، والخطير، بين جدية الأمس، وهزال اليوم، مما يهدد الأغنية في الصميم، ويؤثر تدميراً على مستقبلها .

إن أحداً لا يريد أن يكون موازياً لأولئك العمالقة . .

إن أحداً لا يريد التحول إلى الإبداع الحقيقي . .

إن أحداً لا يريد الإقتداء بعبد الجليل وهبي ورفاقه .